

١٦٣

التوسل المشروع والممنوع

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الجهني

طبع ونشر
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية

ح وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجهني، عبد العزيز بن عبدالله
التوسل المشروع والممنوع - الرياض
٢٠ص؛ ١٢×١٧ سم
ردمك: ٠ - ١٢٠ - ٢٩ - ٩٩٦٠
١- التوسل ٢- العقيدة الإسلامية ٣- البدع في الإسلام أ-العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٧/٣٢٥٥

رقم الإيداع: ١٧/٣٢٥٥
ردمك: ٠ -١٢٠ -٢٩ -٩٩٦٠

الطبعة الثالثة
١٤٢٣هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين . . أما بعد :

فإن المستقرئ لسيرة رسول الله ﷺ يعلم أنه بُعث في قوم كانوا يَغْلون في حب الصالحين من الموتى غُلواً أخرجهم من دين أبيهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن المعلوم أن ملّة إبراهيم ـ عليه السلام ـ كانت : دعوة الناس إلى أن يعبدوا الله وحده، ومن المعلوم أن العبادة أنواعٌ فمنها : الإيمان والإسلام والإحسان والصلاة والزكاة وسائر أركان الإسلام، والدعاء، والذبح، والنذر، والاستعانة، والاستعاذة، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرهبة . .

(العرب من الناحية الدينية زمن مبعث رسول الله ﷺ واعتراضه عليهم)

فالجاهليون كانوا يصرفون بعض هذه الأنواع لغير الله عز وجل؛ معتقدين أن أولئك الأولياء لهم وجاهةً، ومنزلة عند الله رفيعة، وأنهم يرفعون حاجاتهم إلى الله عز وجل. مثال ذلكم : اللاَّت الذي كان يُدعى من دون الله عز وجل في الطائف، كان

قبل موته رجلاً نافعاً للنَّاس وخاصة الحجاج، فقد كان يلتُّ السويق ـ نوعاً من الطعام تحتسيه العرب ـ ويقدمه لهم، فلما تُوفي صار شأنه كشأن أي رجل يَعتقد الناس فيه الصلاح والخير، فأَسفَ عليه أهل زمانه فصاروا يترددون إلى ضريحه ثم أقاموا عليه بناءً ثم جعلوا يتوسلون به ويطوفون بقبره ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات، كما يطلب مثل ذلك من العُزَّى ومَنَاة، كما قال الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ١٩ـ٢٣].

وكانوا مع هذا يعلمون أن هؤلاء المدعوِّين لم يخلقوا شيئاً من هذا الكون وأنهم لا يملكون رزقاً ولا حياةً ولا موتاً وليس لهم من الأمر شيء. قال الله عز وجل عن المشركين: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، أي: مادمتم تعلمون أن الفاعل لهذا هو الله، أفلا تتقون الله فتفردونه بالدعاء كما أفردتموه بالخلق؟

ومن هنا ندرك أنَّ أولئك الكفار ما كانوا يرجون من وراء

أولئك الصالحين إلا أن يقربوهم من الله عز وجل ؛ ظناً منهم أن الله يستجيب لهؤلاء الصالحين الموتى فيقضي حاجات المستغيثين بهم ، وهذا فيه غاية التنقّص للإله الحق ، و وجه ذلك : أنَّ الرب تبارك وتعالى ليس كالبشر يحتاج إلى وزير أو مساعد أو غيره كما هو حال البشر لعدم إحاطتهم بكل شيء . ومن هنا ندرك من القرآن الكريم أن من دعا غير الله من الموتى وغيرهم فيما لا يقدر على تحقيقه إلا الله عز وجل فهو مشرك كافر بالله ، قال الله عز وجل كاشفاً شبهتهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٤]، وقد نص الله تعالى على أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ، ولو قُدِّرَ فَرَضاً وجدلاً أنهم سَمعوا فلن يستجيبوا لهم ، وأنهم يوم القيامة يكفرون بفعلهم هذا، وسُمي فعلهم هذا شركاً بنصِّ الآية وهي قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] .

إذاً كل من دُعي من دون الله من الموتى فهو لا يسمع ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ وقال : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ ولا يعلمون الغيب ؛ فإذا كان رسول الله ﷺ لا يعلم

الغيب كما في سورة الأعراف : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ . . . ﴾ الآية [الأعراف: ١٨٨]، فكيف بمن دونه ﷺ من البشر يعلم الغيب؟ فلا يمكن أن يعلم أنَّ فلاناً جاء إلى قبره فسأله، بل إنهم لا يسألون إلا معدوماً. ولا يصح أن نطلب منهم الشفاعة بجاههم عند الله، فإن الله تعالى كفَّر العرب الذين يطلبون من الموتى ذلك مع قولهم ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، أي: ما ندعوهم، لأن الدعاء عبادة ـ كما سيمر بك قريباً ـ ودعاؤهم للشفاعة خطأ عظيم لأنه تعالى يقول: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهو سبحانه لا يرضى طلب الشفاعة من الموتى لأن الميت لا حياة فيه ولا قدرة له، فكيف تطلب من المعدوم؟ فلا تطلب إلا ممن يقدر عليها، وهو الله تعالى.

(الشفاعة حق)

فنطلب من المولى أن يُكرمنا ـ بمنّه ولطفه يوم القيامة ـ شفاعة الصالحين سواء كانت الشفاعة لمن استحق منا النار ـ نعوذ بالله

منها ـ أو برفع درجاتنا بالجنة ونحو ذلك ، فإن أي شافع لا يمكن أن يشفع إلا بإذن من الله تعالى حتى وأن كان ملكاً مقرباً أو نبياً مُرسلاً ، فكيف بمن دون هؤلاء من البشر ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦] ، ويقول تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، ويقول تعالى : ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

فالشفاعة بناءً على هذا شفاعتان :

(الأُولى) شفاعة مثبتة : وهي خالصة وخاصة لأهل الإخلاص ولا تُطلب إلا من الله ، فإنه كما مرَّ بك آنفاً لا يشفع أحدٌ لأحد إلا من بعد إذنه ورضاه تبارك وتعالى ، وأن يكون راضياً عن المشفوع له ، فإذا كان المشفوع له مُوَحِّداً نفعته بإذن الله شفاعة الشافعين سواء كانت من الرسل أو النبيين أو الصديقين أو الأولياء والصالحين .

(الثانية) شفاعة منفية : وهي التي تُطلب من غير الله سبحانه وتعالى كمن يطلبها من الموتى أو الغائبين أو الجن فإنها تُطلب ممن لا يملكها ، فالميت جاء في القرآن ـ كما مر بك آنفاً ـ أنه لا يسمع والغائب لا يعلم الغيب ، وهكذا الأولياء والصالحون الموتى لا

يعلمون أنَّ أحداً جاء إلى قبورهم واستغاث أو استعان أو استشفع بهم ونحو ذلك، فعلى هذا لا يُشفع للكافر و المشرك كمن يدعو غير الله أو يذبح أو ينذر لغيره تعالى.

والشفاعة إنما تطلب يوم القيامة ممن يأذن الله له بها من الأنبياء والأولياء والصالحين بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]، ومن الجائز أن يطلب من الأولياء والصالحين الأحياء الدعاء كما كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يسألون النبي ﷺ الدعاء حينما يحتاجون إلى الغيث والنصر على الأعداء ونحو ذلك.

أيها القارى الفطن: قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠ ـ ٢١]، يعني: أن أولئك الأولياء والصالحين موتى وليسوا بأحياء، فهم بهذا سألوا الأموات ما لا يقدرون عليه، بخلاف ما إذا كان الرجل الصالح حياً غير ميت فإنه يجوز سؤالُ ما يقدر عليه، كأن تقول له: يا شيخ اسأل الله لي كذا وكذا، أو أعني يا فلان على قضاء ديني أو حمل متاعي على دابتي ونحو ذلك مما يقدر عليه.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لحالة الجاهليين، أولئك الذين قاتلهم رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى، بعد هذا سؤال يطرح نفسه أو يمليه الواقع الذي يعيشه الكثير من أبناء المسلمين ألا وهو:

(ما الفرق بين أولئك الجاهليين وبين الذين يدعون الأولياء والصالحين «الموتى» أو الغائبين من أهل زماننا؟)

والجواب: أنه ليس هناك فرق، وذلك من وجوه:

أولها: أنهم لا يعتقدون أنها تملك من مُلك الله شيئاً وكذلك الذين يذهبون إلى قبور الأولياء والصالحين من أهل زماننا يدعونهم يعتقدون نفس الاعتقاد في مثل الحسين بن علي - رضي الله عنهما -، وعبدالقادر الجيلاني، والسيد البدوي - رحمهما الله - وسائر الصالحين وغيرهم.

ثانياً: أن الجاهليين يعتقدون أن أولئك الصالحين من الموتى لهم جاه عند الله تعالى فيرفعون حوائجهم إلى الله عز وجل معتقدين أنهم يقربونهم إليه، وكَفَّرهم ربي تبارك وتعالى مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وكذلك أهل زماننا من رواد

القبور يعتقدون في السادة والأولياء نفس الإعتقاد.

والدعاء من العبادة؛ إذْ سمَّى الله تبارك وتعالى الدعاء عبادة حيث قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ففسر تعالى الدعاء بالعبادة، بل جاء صريحاً من قول رسول الله ﷺ، فقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبان والحاكم أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الدعاء هو العبادة**)(١)، وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (**من لم يدع الله عز وجل يغضب عليه**)(٢).

(كيف طبّق الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ التوسل المشروع تطبيقاً عملياً بعد وفاة الرسول ﷺ؟)

وقد فهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هذا المعنى وأن من دعا غير الله تعالى فهو مشرك كافر وإن دعا مَلَكاً مُقرباً أو نبياً

(١) حديث صحيح، انظر صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٢٤) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وهو حديث حسن صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٢٤).

مُرسلاً، وما كانوا يفعلون هذا حتى في أحلك الظروف، ولنضرب على ذلك مثلاً من حياة الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ فقد قحط الناس في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فكان يطلب من العباس عم رسول الله ﷺ أن يستسقي لهم من الله تعالى حتى إذا كانوا في المصلى قال عمر ـ رضي الله عنه ـ : **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا(١) فاسقنا... فيُسقون(٢)** . فجعل العباس يدعو وهم يُؤَمِّنون، فهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ لمَ لَمْ يفعلوا ما يفعله بعض أهل زماننا اليوم من الاستغاثة أو طلب الشفاعة وهم أعرف الناس بالحلال والحرام فهم الذين صلوا خلفه وغزوا معه وحجوا معه وجلسوا في مسجده يسمعون خطبه وتأدبوا بآدابه وتعلموا منه ﷺ ؟ .

وكذلك لا يجوز شد الرحال إلى قبر نبي أو ولي ونحو ذلك لأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك المفضية إليه وللوسائل أحكام الغايات؛ لذلك نجد أن رسول الله ﷺ قد حرَّم ذلك

(١) أي: نتقرب إليك بدعاء عم نبينا، وهذا لا حرج فيه؛ لأنه حي وطلب الدعاء من الحي جائز.

(٢) رواه البخاري (٢/ ٥٧٤ ـ الفتح) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ .

فقال: (لا تُشَد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)[1] . وهذا يعني أن السفر لا ينشأ لأجل قبر صالح أو ضريح ولي ونحوه، ونحن نحب النبي ﷺ أكثر من محبة النفس والوالد والولد والأهل والمال، ونحب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ونحب الأولياء الصالحين ونوالي من والاهم ونعادي من عاداهم، ونعلم أن من عادى لله ولياً فقد آذنه الله بالحرب. . لكن قُل لي بربِّك: هل يقتضي حب هؤلاء ومحبتهم أن نعبدهم من دون الله ونتخذهم أنداداً لله ونتوسل بهم ونطوف بقبورهم ونقدم لهم النذور وننحر لهم القرابين؟ .

ومن هنا ندرك أن دعاء أي مخلوق من دون الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله ـ عز وجل ـ شركٌ به سبحانه وتعالى، وذلك كمن يأتون إلى قبور الأولياء والصالحين فيسألونهم حاجات شتى كشفاء مرضاهم ورد غائبهم وإنجاب عقيمهم ورد ضوالهم، وإن قالوا إننا نعتقد أن كل شيء من الله سبحانه وتعالى. فهذا هو بعينه ـ كما مرَّ بك ـ شركُ الجاهليين الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ وهذا هو الشرك الأكبر.

(١) رواه البخاري (٣/ ٧٦ ـ الفتح)، ومسلم (٢/ ١٠١٤) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(ومن الأدلة على أن دعاء الأولياء من دون الله تعالى شرك أكبر) :

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]، و (أحداً) نكرةٌ في سياق النهي يُفيد العموم، يَعْني: لا يُدعى إلا الله وحده، وأن دعاءه لغير الله شرك أكبر مُحبط لأعماله كلها كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، والدليل على هذا أيضاً قوله تعالى في آخر سورة الأعراف: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١]، والآيات بعدها إلى الآية (١٩٧) كلها نصوص صريحة في أن دعاء غير الله تعالى شركٌ أكبر مُخرجٌ من الملّة.

(التوسل المشروع)

وهو التوسل بذات الله تعالى كقولك: يا الله، وبأحد أسمائه كقولك: يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم، أو صفاته كقولك: اللهم برحمتك أستغيث ونحو ذلك، أو بدعاء الرجل الصالح الحي الموجود فتقول: يا شيخ أدع الله لي ونحو ذلك، كما استسقى الصحابة برسول الله ﷺ. وتوسلٌ بالعمل الصالح

كقصة أصحاب الغار الذين أُطبقت عليهم صخرة فسالوا الله تعالى بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم وخرجوا يمشون، فلك أن تقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك وتوحيدي لك وطاعتي لك ولرسولك أن تمنحني كذا وكذا.

أما سؤالُكَ الله تعالى بجاه النبي والولي أو الإقسام على الله تعالى بأحد من هؤلاء فهذه بدعة مُفضية إلى الشرك، فهي مُحرمة وإن كانت لا تصل إلى الشرك لأن السائل سأل الله وحده، أما سؤالك الموتى أو الغائبين مباشرة فهذا هو الشرك الأكبر.

وقد أرشد سبحانه عباده إلى أن يسألوه وحده ولا يسألوا أحداً غيره، وقد وعد أن يُجيب سائله ـ ولو بعد حين ـ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. وأرشدنا ألاّ نستعين إلا به فنحن نقول في كل ركعة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ومع هذا تجد الكثير ممن يُصَلّون إذا أبطأ عليه تحقيق مطلب له من المطالب جعل يلجأ إلى القبور والأضرحة، والله تعالى قادر أن يُجيبه في الحال ولكنَّ هذا للابتلاء والامتحان للعباد، فقد اقتضت حكمته تعالى فتنة العباد

واختبارهم فلربما أُخِّرت إجابة السائل على مراده ليعلم صدقه إن كان صادقاً فيثبت عند الشدائد فلا ينزلها إلا بالله فلا يسأل غيره وإن أطبقت الجبال على رأسه أو انشقت له الأرض لتبتلعه، وهذا قوي الثقة بالله تعالى قوي الإستعانة والتوكل عليه فحري به أن يُجاب.

وآخَر مفتونٌ فعندالإمتحان يضعف إيمانه ولا يرقى به إلى الإستعانة به تعالى فزين له الشيطان أن يُنزل حاجته بالأضرحة والقبور ليُخرجه من دينه ويبر به قسمه الذي أخذه على نفسه حين قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، ومصداق ذلك الإبتلاء للمخلوقين قوله تعالى: ﴿ الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

(لا نقتدي إلا برسول الله ﷺ)

ومن الفتن أن ترى أمماً وشعوباً وأناساً ربما يُقال أنهم من

أصحاب المال والجاه والسلطان أو أنهم عند الناس من أهل العلم بمظاهرهم تجدهم يفعلون ما يفعل الجهلة عند القبور، ولربما سألهم الناس عن حكم هذا العمل فيفتون الناس بأن هذا ليس الشرك المنهي عنه، فالناس يقتدون بهم في ذلك، ولكن العاقل لا يفعل هذا، لأنه يقول: ألا يسعني ما وسع رسول الله ﷺ وأتباعه من السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ؟.

فمادام أن الرسول لم يدع غير الله في كل حياته ولم يُعرف عنه ذلك لا في السِّلم ولا في الحرب ولا في السراء ولا في الضراء، بل الثابت عنه ﷺ أنه إذا ألمّت به مُلمّة أو نزلت به نازلة قال لبلال: (**يا بلال أرحنا بها**)(١) أي: بالصلاة. وفي كل صلاة نقرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أي: لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك. وقد قال تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولم يقل: لقد كان لكم في أهل زمانكم أسوة حسنة. وانظر إلى بني إسرائيل حين أطاعوا علماءهم وعُبَّادهم في معصية الله تعالى ماذا قال الله تعالى عنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٦٤) عن رجل من أسلم (صحابي) الحديث، انظر صحيح البخاري (٧٨٩٢).

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. فلما سمعها عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال: يا رسول الله إنَّا لم نكن نعبدهم ـ إذ كان نصرانياً قبل إسلامه ـ فقال له رسول الله ﷺ: (**أليسوا يحلّون ما حرم الله فتحلّونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟**)[١] قال: بلى، قال: (**فتلك عبادتهم**).

أخي في الله . . ما الفرق بين رجل يقول: إن عيسى ابن الله وله شيء من الألوهية كما هو عند النصارى، ورجل يدعو غير الله معتقداً أنه يجيب سائله؟ وهذا مأخذ يأخذه النصارى على بعض من ينتسب للإسلام من أهل هذا الزمان، فهم بفعلهم هذا محسوبون على المسلمين مع أنهم ليسو منهم لتوسلهم البدعي الشركي بالأموات والأولياء والصالحين. ويؤسفنا أن بعض النصارى ممن يقرأ عن حياة الجاهليين أجدادنا يقول هاهم رجعوا إلى وثنية آباءهم العرب، ونسوا أو تناسوا بأنهم وقعوا بأكبر حين نسبوا لله تعالى الولد، تعالى الله عن أن يلد أو يولد، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٢٥٩) من حديث عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ وهو حديث حسن، انظر غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام رقم (٦).

جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ
وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن
يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

لما تركنا الهدى حلَّت بنا نقَمُ
و هاج للظلم والطغيان طوفانُ

(دعاء غير الله تعالى يحبط الأعمال الصالحة)

أيها الإخوة.. لاشك أن دعاء غير الله تعالى هو الضلال بعينه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، واسمع ما يقال لهم عند الموت حين تتوفاهم الملائكة قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧]، والكافر حابطٌ عمله كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وذلك لأنه خالف أمر الله وأمر رسول الله ﷺ؛ فمخالفة أمر الله تعالى كما مر معك في الآية السابقة ومخالفة أمر رسول الله ﷺ

تكمن في معصيته، حيث أمر أن لا يُسأل إلا الله تعالى فقال ﷺ: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)(١) . والشرك لا يُقبل بحال، ويحبط الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

فيا أخي المسلم.. احذر من الشرك، ووسائل الشرك، كالبناء على القبور مساجد أو غيرها أو أن تَقْصُد قبراً يُدعى من دون الله أو يُذبح لصاحبه، فإن الشرك خافَه أبونا إبراهيم ـ عليه السلام ـ على نفسه، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، أي: جنِّبنا أن ندعوها من دونك يا رب، والأصنام يعلمون أنها جامدة لكنها تمثل أشخاصاً صالحين من ورائها.

قال الإمام إبراهيم التيمي: (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟).

وعليك ـ أخي المسلم ـ أن تدعو الناس إلى ترك مثل هذه السخافات والعادات الجاهلية الشركية التي لا تختلف عما

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٠٦) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ وهو حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع (٧٩٥٧).

كانت عليه الجاهلية الأولى، وأن يخلصوا الدعاء لله عز وجل، ويستجيبوا لبارئهم تعالى حيث قال: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي.. ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(من وسائل الشرك)

ولنعلم أن من وسائل الشرك الصلاة في المساجد التي فيها قبور، وأن الصلاة باطلة فيها لقول النبي ﷺ: **(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**. رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها[1].

ولا حجة لهم في قبر النبي ﷺ؛ لأنه دفن في بيته، وبيته ﷺ ليس من مسجده؛ وذلك لأنه توفي في ذلك المكان من بيته ويُدفن كل نبي حيث مات كما ورد في الحديث الصحيح، وكذلك أبو بكر وعمر دفنا معه في غرفة أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فينبغي أن تتنبه إلى هذه الشبهة التي يلبِّسها من في قلبه شبهة.

---

(١) انظر: صحيح الجامع للشيخ الألباني ١/ ٩٠٩.

(ومن الشُبَه التي يثيرها المبطلون)

قولهم: لم لا نستعين بالأولياء والله تعالى يقول: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]. فنحن نريد منهم جاههم عند الله، فإن الصالحين لهم جاه ومنزلة عند الله، ونحن نطلب منهم ما أعطاهم الله؟.

وقد أجاب العلماء الموحدون من أهل السنة والجماعة عن هذه الشبهة بقولهم أكمل الآية التي احتججت بها. وتمامها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣]، فعرَّف أولياءه بهذا التعريف أنهم مؤمنون بالله ويتقون فعل ما يسخطه ويكرهه ومن أعظم ذلك الشرك والتوسل بغيره سبحانه وتعالى، فكيف يرضون لغيرهم أن يتوسل بهم؟ بل يقول الله تعالى لأوليائه يوم القيامة: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١]. وقد قاتل الرسول ﷺ العرب المشركين مع اعترافهم بتوحيد الربوبية ـ أي أن الله هو الخالق الرازق المدبِّر الأمْرَ في السماء والأرض ـ قاتلهم مع

قولهم عن الأولياء ﴿ . . هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس: ١٨]، فلم ينفعهم شفعاؤهم، من الموتى الصالحين وغيرهم.

أسأل الله تعالى أن يوفقني وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن يثبتنا على ملة أبينا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وسنّة نبينا محمد ﷺ النبي الأمي الأمين إلى أن نلقى الله تعالى غير مفتونين ولا محرومين من رحمته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم على نبينا محمد



فهرس الموضوعات

الموضوع صفحة